

فري أحضان الريف القبرصي

من المنازل العائلية البسيطة إلى الفنادق التقليدية الراقية، نفض الريف القبرصي غبار السنين عنه فاتحاً ذراعيه مرحباً بالزوار لتذوق طعم الضيافة الأصيلة.

الشمس، ملا الخوري - الصور، ملا الخوري وهيئة السياحة القبرصية



قلماً يكتفي المرء بزيارة واحدة إلى قبرص، فمن تلفح شمسها بشرته وتبلل مياه الأوسطي المنعشة قدميه سيقع أسير سحرها دون شك. لكن الجزيرة تغتني بالعديد من المعالم سوى المنتجات البحرية المتناثرة على امتداد سواحلها، ففي قلب المنطقة الريفية وجه آخر للحياة القبرصية يستحق التعرف عليه عن كثب. لقد سبق وتردّت إلى قبرص على مرّ السنين، لكنني لم أشعر بأنني بدأت تلمس جذور هذه الجزيرة بحق إلا بعد الابتعاد عن المدن الساحلية الغاصة بالسياح والتوجه إلى قلب الريف.

نشأة السياحة الريفية

في الماضي كانت القرى الداخلية مأهولة أكثر من المناطق الساحلية، لكن تراجع الطلب على بعض المنتجات الزراعية خلال العقود السابقة وانتعاش السياحة في المناطق الساحلية جذب أهالي الريف نحو الساحل. وعلى مرّ السنين، أصبحت بعض القرى شبه مهجورة، غير أن من بقي فيها ظلّ متمسكاً بترائنه وطريقة عيشه، فصمدت معه عدّة معالم من الحياة القروية التي عادت لاستقطب أهالي البلد والزوّار على حدّ سواء ممن يقدرون أصالة العيش وجمال الريف بطبيعته وتراثه وعمرانه التقليدي.

في طريقنا من العاصمة نيقوسيا غرباً باتجاه سلسلة جبال ترودوس، يحدّثني الدليل السياحي زينوناس عن بوادر السياحة الريفية التي هدفت في المراحل الأولى إلى تعريف سكّان القرى باهتمامات السياح القادمين من مختلف أنحاء العالم سعياً لاستكشاف ملامح الحياة القروية. ويخبرني أنّ قرية «كاثيكاس» التي سنزورها في اليوم التالي كانت من أولى القرى المرحّبة بفكرة السياحة الريفية. وبحلول مطلع التسعينيات من القرن الماضي، أطلقت منظمة السياحة القبرصية محفّزات للاستثمار في السياحة الريفية، فاستعادت ساحات القرى وأزقتها المرصوفة بالحجارة رونقها وأعيد تأهيل المطاحن العتيقة وغيرها من المعالم التراثية التي من شأنها إعادة إنعاش الحياة التقليدية. شيئاً فشيئاً، عادت الحياة لتدبّ في القرى القبرصية المنسية فيما امتدّت يد الدعم لمساعدة أصحاب المنازل القديمة على تحويل منازلهم المهمّشة إلى نزل تقليدية لاستضافة السياح في رحاب الريف القبرصي حيث أسلوب العيش الأصلي.

على سفوح جبل ترودوس

فيما تبدّل ملامح الطبيعة أثناء تقدّمنا على طرقات جبل ترودوس المتعرّجة أنشوق لبلوغ قرية «كالوبانايوتيس» المصنّفة واحدة من «المقاصد السياحية الممتازة» وفق المبادرة الأوروبية European Destinations of Excellence، وأتطلع قدماً لأملأ رثتي بهواء منعش وأمتع ناظريّ بما يُفرح النفس ويغذي الروح. نتغلغل في الريف بين غابات السرو والصنوبر مروراً بواحد من 65 سداً منتشرة حول سفوح جبل ترودوس. وبين الحين والآخر، تظهر كروم الزيتون الخضراء كرمز جميل يجسد أصالة الحياة الريفية.

فجأة تطلّ قرية «كالوبانايوتيس» معانقة سفح جبل ترودوس الذي نهض من عمق 10 كيلومترات تحت البحر ليغدو على مرّ ملايين السنين أرضاً خصبة مكلّلة بالخضار. وتبدو القرية كلوحة من نسج الأحلام بأسطح منازلها القرميدية المتكاثفة جنباً إلى جنب. وتتابع مسيرنا وسط الطبيعة الخلّابة وصولاً إلى فندق Casale Panayotis الرائع وهو عبارة عن مجمع من المنازل القروية التي تمّ إعادة تأهيلها بعناية فائقة لتنهض بجلّة أنيقة تجمع بتناعم تامّ بين الحداثة والأصالة. أسارع إلى الباحة الخارجية المطلّة على التلال المجاورة حيث أراقب تبدّل ألوان المغيب الأسرة، وتفعل المناظر الطبيعية سحرها في قلبي

واليونان وغيرها فانتهاه بقبرص. والقطاع القبرصي من طريق E4 يستغرق أياماً عدّة، إذ يبدأ من مطار لارناكا وصولاً إلى مطار بافوس مروراً بمسافات طويلة عبر مرتفعات ترودوس والأرياف، وتتخلله مناطق غاية في الجمال. وإلى جانب المسار الأوروبي، تغتني الجزيرة بمسارات عدّة أخرى تقارب المائة، ويصل بعضها إلى شواطئ الجزيرة. تحملنا رحلتنا باتجاه وادي الأرز الغني بأشجار الأرز والصنوبر. ويطمئنني زينوناس بأنّ غالبية الغابة هي ملك الدولة وتحظى بحمايتها، كما تنتشر فيها نقاط لمكافحة الحرائق. على الدرب، نمرّ بمنطقة مخصّصة للمتزنّهين، ومن هنا ينطلق مسار رائع للمشاة يعبر ثلاثة جسور رومانية. ويشير زينوناس إلى الأفق حيث يلوح فندق Berengaria المهجور الذي تمّ إنشاؤه لاستقبال الطبقة الأرستقراطية الإنكليزية وكان طابقه بأكماله منه محجوراً دوماً للملك فاروق. لقد ولت أيام المجد التي شهدها الفندق لكنّ المنطقة تعيش ازدهاراً من نوع آخر يتمثّل بتقدير متجدّد للطبيعة وأسلوب العيش القروي. نواصل الرحلة باتجاه وادي الأرز كمن يدخل حتماً لا تحلو الاستفاقة منه، وتتوالى التلال الخصبّة على امتداد النظر كبساط مُطرز بدرجات من الخضار يمتدّ إلى ما لا نهاية. هنا يشعر المرء بحق وكأنّه دخل مملكة الطبيعة بأوج روعتها حيث تشمخ أشجار الأرز بكامل جلالها فيما تحاول أشجار الصنوبر منافستها. نجتاز الميل تلو الآخر في حضرة هذه اللوحة الطبيعية التي تستحق أن تحتلّ مكاناً في أبرز متاحف العالم، ولا نتوقف إلا عند بلوغ فسحة في قعر الوادي حيث ترجّلت مجموعة من محبي السير لاتخاذ المسار الممتدّ كيلومترين ونصف في قلب الغابة الساحرة وصولاً إلى قمة إحدى التلال. نتمسّى

إلى عالم آخر ومحو كل تشويش من ذهني. ويعمّ مطعم الفندق جوّ من الألفة فيما يروح النادل البشوش ويجيء محملاً بأطباق شهية وأخبار طريفة، فيدلني على أعشاش السنونو المتشبهة بسقف الشرفة قائلاً إنّها تُعتبر جالبة للحظ ويستحيل أن يفكر أحد بإزالتها على الرغم مما يتطلّب الحفاظ عليها من تنظيف. ثمّ يضع أمامي طبقاً من جبن الحلوّ المصنوع محلياً والمزّين بطبقة رقيقة من المرّي مضيئاً أنّ جميع أصناف المرّي التي يقدّمها المطعم تصنعها إحدى سيدات القرية في منزلها. ما من شك في أنّ أحد أسرار نجاح المطعم يعود لاعتماده المنتجات المحليّة من قرية «كالوبانايوتيس» نفسها والقرى المجاورة.

في مملكة الطبيعة

يعدّ اليوم التالي بمزيد من الفرص لاستكشاف هذه النواحي الأسرة، وبعد ارتشاف كوب من القهوة في مكتبة الفندق الأنيقة والقيام بجولة في الجوار، ننتقل نحو قرية «كاثيكاس» مروراً بقرية «بيدولاس» حيث ينتظرنا غذاء في مطعم Two Flowers المطلّ على مزيد من المناظر البانورامية. وعلى الطريق، يلتقط البصر ومضات تجسّد الحياة اليومية، فهنا أكشاك تباع الحلويات التقليدية والمرّيّات وهناك مجموعة قفران نحل يليها كشك يبيع الكرز والعسل.

تغتني هذه المنطقة بشكل خاص بمسارات طبيعية رائعة تستقطب محبيّ التجوّل في البراري سواء سيراً أو على متن الدراجات الهوائية، علماً أنّ قبرص تمثّل طريق E4 الأوروبي للسير على الأقدام الذي يمتد آلاف الكيلومترات انطلاقاً من جبل طارق مروراً بإسبانيا وسويسرا

طبيعية واسترخاء

منظر لقرية «كالوبانايوتيس»، أطباق محلية شهية على الغداء، ديكور أنيق ومنظر ريفي في مطعم Casale Panayotis، شلالات «الكاليدونا» في جبل ترودوس.



الأوركيد والخزامى، وأنواع مختلفة من الطيور، إلى جانب الخروف البرّي النادر الذي تشتهر به الجزيرة. أما من يرغب في الراحة، فيمكنه الاسترخاء والتنعم بالعزلة لتجديد نشاطه واستجماع أفكاره.

بين الجبل والساحل

نحذو حذو القبارصة الذين يدركون كيف يحققون الإفادة القصوى من طبيعة جزيرتهم الجميلة عبر قضاء النهار على الشواطئ ثم العودة إلى الريف لتمضية الأمسيات في كنفه بعيداً عن كثافة الحركة السياحية. ونتجه إلى الشاطئ، ولولا بضعة غيوم لكان باستطاعتنا مشاهدة ساحل بافوس الشهير من موقعنا في أعلى التلال. ونترجل من السيارة في خليج «كورال بيه» الذي تعود أولى مستوطناته إلى العام 4000 قبل الميلاد وقد حَققت المنطقة أهمية كبرى على أيدي الرومان باعتبارها مرفأً استراتيجياً هاماً. ومن موقعنا على الشاطئ نتمتع بمشاهدة أكبر جزيرة غير مأهولة في قبرص فيما تلفحنا نسائم بحرية منعشة ويملاً هدير الأمواج أذاننا، ثم نواصل سيرنا فنرى مجموعة من الكهوف البحرية التي يمكن للمغامرين المتمرسين استكشافها عند هدوء البحر.

نغتتم فرصة تواجداً على الساحل لزيارة موقع أثري في بافوس مُدرج على لائحة التراث العالمي لليونسكو نظراً لاحتوائه على أراضي منازل مزدانة بالفسيخاء تعود إلى الفترة الممتدة ما بين القرنين الثالث والخامس. وبعد استراحة في فندق Columbia الواقع في خليج «بيسوري» الأسر والتمتع بجلسة تدليك رائعة، تشدنا الرغبة للعودة مجدداً إلى رحاب الريف. ونجتاز المنطقة المعروفة محلياً باسم «السلطانية» فيما نمضي على درب رائع بين تلال تنتشر على سفوحها كروم العنب، وتتوالى المشاهد الرائعة على امتداد الطريق المؤدي إلى قرية «أرسوس» التي تتميز بسحر خاص بأزقتها الضيقة ومنازلها التقليدية المكلفة بالقرميد وساحتها القديمة التي عادت إلى سابق عهدها بعد حملة ترميم. وفي شهر سبتمبر تحتفي البلدة

قرب جدول صغير حيث تمتلئ أذاننا بألحان الطبيعة العذبة. وفي غضون بضعة أشهر ستزداد مياه الجدول زخماً لتضخ المزيد من الحياة في هذه الأرجاء الآسرة.

إقامة في منازل تقليدية

نبلغ النواحي الجبلية من منطقة بافوس حيث نعرّج على قرية «بانايا» الشامخة على أكثر الجبال الكلسية ارتفاعاً في قبرص. وتشتهر القرية بكونها مسقط رأس مكاريوس الثالث، أول رؤساء جمهورية قبرص، وقد كرمته بمتحف خاص مكرّس له. وتثير سيارتنا فضول بعض الصبية في هذه القرية الهادئة التي يبلغ تعدادها السكاني حوالي 500 نسمة فقط، فيقتربون لإلقاء التحية والابتسامات مرتسمة على وجوههم. وبعد استراحة قصيرة، نمضي شمالاً باتجاه قرية «كاثيكاس» مروراً بمنجم نحاس مهجور يعود للعام 3500 قبل الميلاد. وفي مطعم Yiannis، حيث سنتناول العشاء، نستدل من أهل القرية على منزل «ميكاليس أنونيا» التقليدي الذي تم تأهيله بكل عناية لاستقبال النزلاء. ويوفّر المنزل كل وسائل الراحة دون التخلي عن طابعه القروي، وتكمّله باحة صغيرة حيث يحلو ارتشاف القهوة في الصباح الباكر على تغريد العصافير.

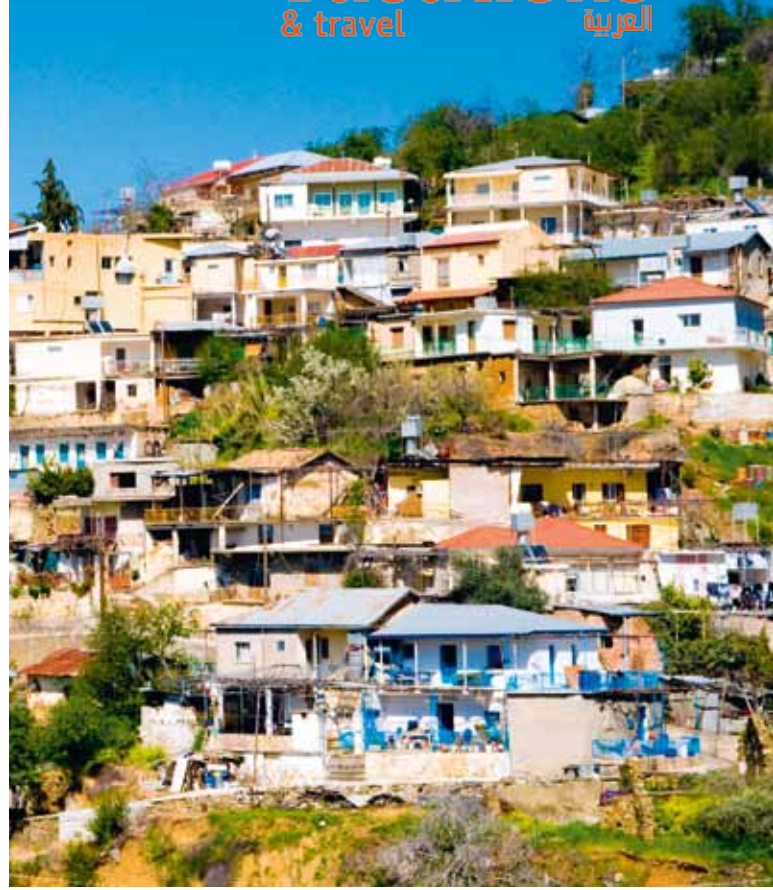
وفي المساء، يغصّ مطعم Yiannis بالرؤاد المجتمعين في باحته الخارجية. ولا نشعر بحاجة للاطلاع على قائمة الطعام إذ تتوالى أطباق المازة القبرصية الواحد تلو الآخر. وكلّما حاولنا أن نُعلم صاحب المطعم بأننا شعرنا بالافتقار، يعود بصنف جديد ويلحّ علينا لتندوّقه كي لا تفوتنا فرصة تجربة هذا الطبق الموسمي.

يتميز الريف بسحر لا تعرفه أكثر المدن جمالاً ففي كنفه تتلاشى أعباء الدنيا. هنا تسير الحياة بوتيرة هادئة ويمكن التخلي عن الهواتف وأجهزة الكمبيوتر والمضي في رحلات لاستكشاف البراري، إما على متن الدراجات الهوائية أو سيراً على الأقدام، للتعرف على الحياة الفطرية التي تشمل أكثر من 127 صنف من النباتات بما فيها أزهار



في أحضان الريف

تكثر المدرجات الزراعية التقليدية في أنحاء الريف القبرصي، المنارة في بافوس، يتكزّر مشهد الحمير البرية التي ترعى في حقول الريف القبرصي، تكثر ثمار الرمان في فصل الخريف في أنحاء قبرص، يحلو استكشاف الريف القبرصي ركوباً على الدراجة الهوائية.



معلومات عن الرحلة

طريقة السفر

يسير كل من طيران الاتحاد وطيران الإمارات رحلات دورية إلى مدينة لارنكا القبرصية.
etihadairways.com
emirates.com

الوقت المثالي للسفر

يتوافد السياح إلى قبرص على مدار السنة نظراً لمناخها المعتدل وتنوعها الجغرافي الذي يتيح المجال لخوض باقة من الأنشطة في الهواء الطلق في مختلف الفصول.

الفنادق والنزل التقليدية

تسعى شركة Cyprus Agrotourism Company لدعم حركة السياحة الريفية في حوالي 60 قرية مختلفة، ويمكنكم الاستفادة من موقعها الإلكتروني الشامل الذي يعتمد نظاماً موحداً للحجوزات ويمدكم بمعلومات مفصلة حول مختلف المناطق الريفية والمنازل القروية والفنادق المتوفرة فيها:
www.agrotourism.com.cy

المطاعم

مطعم Yiannis في قرية كاثيكاس
مطعم Byzantino Restaurant في فندق كازالي بانايوتي
مطعم Lofou في قرية «لوفو»
مطعم Ambelothea في قرية «أومودوس»

المنتجات الصحية

منتج Hebe Spa في فندق كولومبيا بمنطقة «بيسوري»
منتج Apokryfo في قرية «لوفو»

استكشاف الريف على متن الدراجات الهوائية

تقدم شركة Cyprus Villages خدمات متكاملة لمحبي ركوب الدراجات باعتماد أحدث التقنيات لتنظيم المسارات
cyprusvillages.com.cy

لمزيد من المعلومات

لمزيد من المعلومات حول السفر إلى قبرص يمكنكم زيارة الموقع الإلكتروني لمنظمة السياحة القبرصية.
www.visitcyprus.com

بأسرها بلوى «بلوزيه» المصنوعة من العنب الأبيض، وهي مناسبة رائعة لمشاركة الأهالي احتفاءً بهم أو استكشاف المسار الطبيعي المعروف باسم «مسار الينابيع الستة» الذي يمر بستة ينابيع تعود للقرن الوسطى.

وفي قرية «لوفو» المجاورة نبيت في نزل تقليدي يحمل اسم أغروفينو. يشعر المرء هنا بأنه في بيته بفضل ما يلقاه من ترحيب وعناية من جميع أفراد العائلة القائمين على النزل والمطعم المجاور له. وتخبّرنا مضيفتنا أنّ القرية واجهت حركة هجرة كبيرة باتجاه المدن، لكنّها عادت لتنهض وتشهد ازدهاراً جديداً بفضل حفاظها على وجه الحياة القروية الأصيل. عندما اتخذ والدها قراراً بافتتاح المطعم في المبنى المهجور قوبل قراره بالذهول، لكنّ سكّان المدن الذين يقدرّون القرى الهانئة يتردّدون إلى «لوفو» في كل فرصة سانحة، شأنهم شأن محبي المشي في الطبيعة الذين يطلّون ضيوفاً في نزل أغروفينو على مدار العام.

أما في بلدة «أومودوس» فنتمسّ وجهاً آخر من الحياة القروية حيث تكثّر حركة السياح اليومية، لكنّها لا تضاهي القرى الهادئة أصالة. ومع ذلك بإمكان زوّار القرية التمتع بالمنتجات التقليدية هنا، وبشكل خاص منتجات الخروب على اختلاف أنواعها. ولا تزال بعض سيّدات «أومودوس» المسنّات يعملن بالتطريز، وما من شكّ في أنّ منظرهن ينعش القلب.

يصحّ القول في حياة القرى إنّها تشكّل بلسماً للنفس والجسد. وقد يقع الزائر في حيرة من أمره نظراً لوفرة القرى المشاركة ببرنامج السياحة الريفية وخيارات الإقامة المتاحة أمامه، لكنّه سيدرك أنّه سيُقابل بترحاب حارّ أينما حلّ على هذه الجزيرة الرائعة التي لم تتخلّ عن أصول الضيافة في أيّ ركن من أركانها. •